

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 17 (2012) : 46 - 52
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص

سليمان بن سمعون

قسم اللغة العربية وآدابها جامعة غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة:

تطمح هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين البلاغة والتداولية والأسلوبية وعلم النص لفهم كيفية بناء النص الأدبي بلاغيا وأسلوبيا ودلاليا، فالبلاغة هي فن الخطاب الجيد وهي تتوجه إلى المستمع لتؤثر فيه إلا أننا قد نعمد إلى تحديد العلوم المساعدة لفهم أبنية النصوص وكيفيات تشكيل هذه النصوص لغويا وأسلوبيا ودلاليا وهذا لا يعني تقسيم البلاغة فقط إلى علومها وأبوابها (المعاني والبيان والبديع)، وإنما رصد العلاقات بينها وبين العلوم الأخرى المنبثقة عنها مثل :علم التداولية و علم الأسلوبية وعلم السيميائية و علم لسانيات النص و علم تحليل الخطاب، فلكل علم من هذه العلوم إجراءاته ومستوياته التحليلية ولكن ما هو الهدف من رصد أو معرفة العلاقة بين علوم متداخلة وهي علم البلاغة والأسلوبية والتداولية وعلم النص؟ ومن خلال هذه العلوم تتشكل البنية الكبرى للنص، ولذلك سنوضح في هذه الدراسة العلاقة بين البلاغة والعلوم المجاورة لها لنفهم في الأخير علاقتها بعلم النص، لأن العمل الأدبي في حقيقته موجه إلى المتلقي الذي يعيد صياغة النص بطريقته الخاصة حتى يعيد توزيع العناصر اللغوية التحليل والفهم.

أولا: علاقة البلاغة بالتداولية:

لا شك في أن البلاغة هي أحد العلوم المهتمة بالمعنى وهي على علاقة وثيقة بالأدب لأنها ترمي إلى توصيل غاية إلى المتلقي قصد التأثير فيه أو إقناعه وتقديم الحجج الهادفة لإقناعه(والحق أن التحليل لبلاغي للأدب وإن أسهم في إبراز لمكون الحجاجي الذي تنبني عليه معظم الأعمال الأدبية الكلاسيكية إلا أنهلا يمكنه اختزال تلك الأعمال فيما تضطلع به من وظائف تأثيرية عملية إنه سيظل تحليلا يتطلبه نوع من الإنتاج الأدبي الأعمال الكلاسيكية والشعر السياسي) محمد مشبال، البلاغة والأدب, 2010, ص50.

فما العلاقة بين البلاغة و التداولية ؟وهل يمكن إقصاء أحدهما في الدراسة الأدبية؟، وإذا كانت التداولية هي علم الاستعمال اللغوي وهي (الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام ... ما يعنينا منه إنما هو التداولية اللغوية، لأنها تقربنا من الوصف النحوي للنصوص) صلاح فضل ,2004, ص 31.

إن العلاقة بين البلاغة والتداولية تتمثل في رصد كيفيات إيصال المعنى إلى المتلقي لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة، ولابد من أن يتمكن من فك شفرة هذه الرسالة ولا يكون ذلك إلا بإعادة تحليلها وفق الفهم.

كما أن إمكانية إقصاء أحد العلمين إما البلاغة وإما التداولية ليست واردة هنا ذلك أن فهم البلاغة يعني فهم التداولية فهما علمان متداخلان وقد تطور هذا التداخل فيما بعد إلى أن أصبحت التداولية تهتم بالسياق وأنواعه ونظريات أفعال الكلام وهذا كله موجود في الدراسة البلاغية للأدب (وقد كانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا وهي: العلاقات أو الرموز، ودلالاتها، وعمليات توصيلها، فكانت التداولية تعنى بهذا القسم الأخير... ولهذا فإن التداولية اهتمت أولا بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها ثم لم تلبث أن حلت كلمة نصوص محل علامات بحيث أصبحت التداولية تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمه) صلاح فضل، بلاغة الخطاب , 2004 , ص 31.

وهذا كله يرجع إلى المعنى الذي يربط بين العلمين ولا يتم هذا إلا من خلال تحديد السياق لأن غاية المرسل هي إفهام المرسل إليه حيث يشترط فيه

معرفة مستويات اللغة المختلفة بغرض التواصل، فالسياق ضروري في البلاغة والتداولية ويعني(على مستوى الكلام هو المحيط اللساني لوحدة لغوية، ويقصد بهذا المحيط هنا مجموع العناصر الحاضرة بالفعل في النص بجوار مباشر أو بعيد عن الوحدة المعتبرة، ومن ثم فإن العناصر التي تشترط الحضور، والشكل والوظيفة أو المعنى لهذه الوحدة تنتسب إلى السياق الملازم) عبد الجليل مرتاض ,2010 ,ص 06.

فالتفاعل القائم بين العناصر اللغوية ينتج من خلال الحضور والشكل والوظيفة وهذه المصطلحات تتجسد في كيفية بناء النص فالحضور هو ارتباط الوحدة مع غيرها من الوحدات حضوريا في المحور التركيبي_والشكل هو كيفية بناء الكلمة هل هي اسم أو فعل أو حرف ثم الوظيفة أو المعنى الذي تؤديه الوحدة بتجاورها مع غيرها من الوحدات وهذه الوظيفة تتمثل في منحها معنى نحويا من خلال نظمها مع غيرها وهذه العناصر اللغوية هي في الأخير مرتبطة بالدوال ومدلولاتها حيث إن تحديد العلامة أو الكلمة يتم من خلال أدائها لمعنى محدد في إطار السياق لأن الوحدة الدالة هي أصغر وحدة من وحدات المضمون ترتبط مع غيرها من وحدات التعبير في إطار ترابط العلاقات الإسنادية بعضها مع بعض داخل النظام اللغوي، وهنا لابد من الإشارة إلى التحليل البلاغي وعلاقته بالتحليل التداولي للأدب حينما يتعلق الأمر بدراسة النص الأدبي لأن (إظهار البعد الوظيفي أو الإيديولوجي للنص الأدبي، بما هو نص تواصلي مرتبط بشكل من الأشكال بموقف اجتماعي، أي إذا كان هدف البلاغة تشكيل المعتقدات والآراء والتحريض على الفعل، فإن الأدب الذي سعت المذاهب الجمالية الحديثة إلى تنزيهه عن أي وظيفة عملية لايجوز فصله عن البلاغة هذا الفصل القاطع) محمد مشبال، البلاغة والأدب، ص53.

ومما لاشك فيه أن إظهار البعد الوظيفي أو الإيديولوجي للنص الأدبي يحلنا طبعا إلى فكرة السياق ولكن كيف نضبط هذا المصطلح مع العلم أن العديد من العلوم تعتمده كإجراء أساسي في تحقيق ما ترمي إليه من مقاصد؟ ولذلك يمكن أن نركز على سياقين أساسيين من أنواع السياق وهما سياق الموقف أو المقام والسياق اللغوي ذلك أن المعنى لا يرتبط بالكلمة فقط وهي في حالة الإفراد، وإنما يعني دخولها في علاقات متبادلة مع كلمات أخرى تختلف معها وتتشابه لأداء المعنى التركيبي حيث يقصد بالسياق اللغوي (الإطار الداخلي أو البنية الداخلية للغة دون الرجوع إلى المجتمع) جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، ص141.

أما ما يتعلق بالسياق المقامي أو سياق الموقف فهو يرتبط بالموقف أو المقام الذي قيل فيه الكلام بمعنى أن المقام يكون حينئذ مقام التلفظ وهو غير السياق اللغوي فسياق المقام يعني (معرفة السياق وفهمه خارج النص عن طريق الظروف المتعلقة بالمقام أو سياق الموقف وهو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة) جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة، ص147.

والواقع أن فهم المعنى في البلاغة أو التداولية لا يمكن الفصل فيه بين السياقين اللغوي والمقامي ذلك أن الدلالة تجريدية ذهنية لاتستقل بمستوى لغوي واحد فهي ترد في كل مستويات اللغة المختلفة وهذا يثبت في نهاية الأمر العلاقة المتينة بين العلمين ودور السياق في فهم دلالة النص باعتباره وحدة كبرى (ولكي نتبين بطريقة منظمة علاقة النص بالسياق، ينبغي لنا أن نعرف بنية السياق، كما نتعرف على بنية النص، ومادام السياق تجريدا للموقف التواصلي، فما هي تلك العناصر التي يتضمنها منه؟ والإجابة عن هذا السؤال يسيرة لأنه لايتضمن من الموقف سوى تلك العناصر التي تحدد بشكل منظم:

أ) قبول النص أو رفضه

ب) كفاءته أو عجزه

ج)ملاءمته أو منافرته) صلاح فضل بلاغة الخطاب، ص ص 31.32

غير أن هذه العلاقة الوطيدة بين السياق والنص هي نتيجة عن الموقف التواصلي الذي خاطب فيه المتكلم المتلقي مريدا من خطابه تحقيق قصد معين أو ما يمكن أن نسميه في البلاغة بمقتضى الحال وهذا ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين التداولية والبلاغة (ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان

يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية(لكل مقام مقال) صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص32.

ولذلك اختلف النقاد والباحثون في تطور ونشأة البلاغة لأن الهدف الأساسي منها إنتاج القواعد والقوانين المساهمة في إنتاج النص الأدبي فهي تعمل على توفير القواعد وإعداد النماذج التي يستطيع المتكلم من خلالها إقناع سامعيه بحديثه لأن (البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال فلكي نؤثر في نفوس المخاطبين لا يصح أن نخاطبهم بما لا تستطيع أن تدركه عقولهم، أو بما يجرحهم في مشاعرهم وعواطفهم أو بما لايتفق وينسجم مع اهتماماتهم وحاجاتهم) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني.

وإذا كانت قضية مطابقة مقتضى الحال هي ما يثبت إمكانية دراسة التعابير الأدبية بمراعاة الموقف أو المقام الذي قيل فيه الكلام فإننا سنجد بأن العلاقات بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية كذلك مرتبطة بشكل أو بآخر من الأخذ بسياق المقام لتأسيس المعنى الإيحائي القائم على التخييل واكتساب الكلمات لدلالات جديدة وهذا ما يؤدي إلى إظهار العلاقة بينها وبين النص (وعلى هذا فبنية النص البلاغي تزاوج بين المقومات الحسية والعقلية لتبني تصورا جديدا بإقامة علاقات إسنادية تذيب شيئية الجزئيات ودلالاتها المباشرة لتحتويها كلية المدلول النصي التي تقر شرعية توليد العلاقات بالتوهم والتخييل) ماهر مهدي هلال، الرؤية البلاغية في قراءة النص، ص02.

وهنا تجدر الإشارة إلى البحوث الجديدة في البلاغة والتي استمدت مقوماتها وأسسها ومفاهيمها من اللسانيات وكما سبق أن أشرنا إلى العلاقة القائمة بين التداولية والبلاغة واعتبار التداولية علما يهتم بالعلامات اللغوية في حالة الاستعمال فهي مرتبطة بكيفيات استعمال هذه العلامات من قبل المتكلمين والمتلقين، لكن ما ساعد على تطور ونشأة البلاغة كذلك ظهور ما يسمى بلاغة الخطاب التي تعتمد على ما قدمه فردينان دي سوسير في اللسانيات (وعلى هذا، فإن بلاغة الخطاب الجديدة قد ورثت تصورا عن اللغة أخذ يتعزز ويتأكد من خلال النصف الثاني من هذا القرن، وذلك بتأثير تعاليم سوسير التي تقضي بتجانس الوحدات المميزة لمختلف مستويات التنظيم اللغوي، وارتباطها كلها بعلم واحد هو علم السيميولوجيا الذي تنبأبه، ولم يلبث أن ازدهر بعد ذلك). صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص27.

ويبدو أن ما اصطلح عليه بالبلاغة الجديدة تم فهمه في إطار المناهج النقدية الحديثة وتحليل الخطاب ومن بينها الاتجاه البنيوي، الاتجاه السيميولوجي إلى التداولي، وقد اعترف تودوروف عام 1979(بأن السيميولوجيا يمكن أن تفهم باعتبارها بلاغة معاصرة، وقد اتضح أن مفهوم بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها كعلم لكل أنواع الخطاب، علم عالمي في موضوعه وفي منهجه... وقد التقى هذا التيار ببحوث تحليل الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي، كما أخذ يصب بشكل مكثف في اتجاهات علم النص) صلاح فضل بلاغة الخطاب، ص96

علاقة البلاغة بالأسلوبية:

ارتبطت البلاغة في الدراسات الأدبية والنقدية بمجموعة من المفاهيم والمصطلحات المعاصرة التي حددت مجالها حيث تداخلت مواضيعها مع غيرها من العلوم ولعل من أهمها الأسلوبية فما الفرق بينهما من الناحية العلمية ؟و(تتمثل منهجية البلاغة في دراستها للتركيب اللغوي من حيث أداؤه للمعنى، ومن حيث تنوع هذا الأداء من ناحية ثانية، ثم من حيث مطابقته لحالة المخاطبين من ناحية ثالثة، ...ومن الملاحظ أنهم اتجهوا بكل ذلك كما فعلت الأسلوبية إلى الخطاب الفني دون الخطاب العادي، وأدركوا أن الوسائل التعبيرية البارزة هي مناط الاهتمام، ومركز الثقل، وتغاضوا عن جوانب أخرى كثيرة وهامة في الأداء الفني كالجوانب النفسية والاجتماعية)محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية.

إن إدراج الجوانب النفسية والاجتماعية في المقاربة البلاغية يؤدي إلى التعرف على مستويات القراء وأحوالهم النفسية وفهمهم للواقع أو نظرتهم الخاصة للعالم وهي التي ترسم استجابتهم لأنواع التراكيب والتعبيرات البلاغية والأسلوبية فالقارئ يبحث عن المعنى من خلال تقسيم البلاغة إلى أبوابها أو علومها للتعرف على الموضوعات البلاغية (وأننا إذا كنا ندعي لفروع البلاغة الثلاثة

موضوعا واحدا فإن ذلك الموضوع ينبغي أن يكون العلاقة بين الاختيار الأسلوبي للعنصر اللغوي وبين المعنى، غير أن الفروع الثلاثة إذا اتفقت في هذا الطابع العام فإنها تختلف في أمور أخرى إذ يختص كل منها بموضوع بعينه) تمام حسان، الأصول، ص309

وما يعنينا كذلك في عملية الاختيار الأسلوبي التعرض إلى المعنى الناشئ عن التركيب اللغوي لفهم مجموعة الظواهر البلاغية والأسلوبية، فكما للبلاغة موضوعاتها وعلومها فللأسلوبية كذلك إجراءاتها ومستوياتها إلا أن البلاغة حينما تتوجه إلى القارئ تهدف إلى إقناعه والتأثير فيه، غير أن الأسلوبية ترتبط بالأسلوب من خلال النص والكاتب والقارئ (ويصدق موضوع الظواهر البلاغية كما نستخدمه على الظواهر التي تستهدف تحقيق الإقناع والتأثير والتي تضم :

1) ظواهر لغوية مثل اختيار الأصوات والمفردات والتراكيب والمجازات

2) ظواهر فوق لغوية مثل وسائل الإقناع والسرد

3) ظواهر سياقية مثل زمان ومكان الحدث البلاغي وطبيعة المشاركين فيه ووسائط انتقاله

4) ظواهر سيميوطيقية غير لغوية، مثل الموسيقى والصورة والحركة والإشارات الجسمية والرقص.)عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص 19

وعلى الرغم من أن هذه الظواهر البلاغية متماسكة فيما بينها فإنها بشكل أو بأخر تحيل إلى الظواهر الأسلوبية وخاصة ما اتفقنا حوله بإجراءات التحليل الأسلوبي ومن بينها الاختيار والتركيب والانزياح والسياق، فلكل إجراء من هذه الإجراءات خصوصيته في التحليل كما أن هذه الإجراءات يحيل بعضها على بعض إذا ما انتقلنا إلى تحليل النص الأدبي باعتماد الموضوعية كما أنها تقدم منهجا وصفيا لفهم طبيعة الأسلوب الأدبي (وعندما شب علم الأسلوب أصبح هو البلاغة الجديدة في دورها المزدوج كعلم للتعبير ونقد للأساليب الفردية، لكن هذا الدور لم يتكون مرة واحدة بل أخذ ينمو ببطء تدريجي يكتسب من خلاله العلم الجديد تحديدا دقيقا لموضوعه وأهدافه ومناهجه)صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، ص165.

وإضافة إلى ذلك فإن كل ما قدمته الأسلوبية من دراسة علمية موضوعية للأسلوب فقد قدم التحليل البلاغي بعض ذلك من خلال فهم بنائية النص الأدبي من حيث العدول عن الاستعمالات المألوفة للتعبير اللغوي، بل إن علم البلاغة يعتبر من أهم العلوم التي ساهمت في إرساء نظرية للمعنى وفهم كيفيات بناء النصوص الأدبية (وإذا كان قد قيل بأن البلاغة هي علم أسلوب الأقدمين فمن الملاحظ أن حظها من العلم كان يوازي بل يفوق في بعض الأحيان تصورات العلوم الأخرى، فكثير من تحليلات التراث البلاغي المتصلة بمضمون التعبير تضاهي المنطقة التي يغطيها علم اللغة الحديث من قضايا تتصل باللغة والفكر والفصاحة وبأشكال القول وتكوينه مما يشمل جوانبه الثلاثة:الصوتية والمعجمية والنحوية)صلاح فضل، علم الأسلوب، ص167.

والسؤال الذي نطرحه ما هي حدود العلمين ؟وهل يعتبر علم الأسلوب علما مكملا للبلاغة أم هو علم قائم بذاته؟ وللإجابة عن هذا السؤال نلاحظ أن البلاغة قد تجددت(منذ بداية القرن التاسع عشر فكانت عاملا في وجود الأسلوبية(علم الأسلوب)وهي علم للتعبير وعلم للأدب في آن واحد، وهناك من عدها أي الأسلوبية بلاغة حديثة إذ البلاغة في خطوطها العريضة تكون فنا للكتابة، وفنا للتأليف (فن لغوي، وفن أدبي) وهما سمتان قائمتان في الأسلوبية) عثمان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص25.

فالأسلوبية هي دراسة للأسلوب الأدبي وخصائصه ومميزاته فهي تدرس الصور الشعرية، والإيقاع، وقضايا التركيب، فهي تدرس النظام اللغوي ومكوناته للوصول إلى تحقيق الأثر الجمالي الكامن في النصوص الأدبية وهي في ذلك تستفيد مما قدمته البلاغة والتداولية من إجراءات في فهم طبيعة تشكيل النصوص الأدبية (فهذا التصور للنظرية الأسلوبية يشير إلى أن البلاغة والتداولية تعدان منجمين تغرف الأسلوبية منهما ما تعتبره صالحا ليغني مقاربتها للنص(صابر الحباشة، من قضايا التفكير اللساني في النحو والدلالة واللسانية، ص31).

وبغض النظر عن هذا التداخل بين العلوم فإن الأسلوبية اكتسبت شرعيتها من الإجراءات

التحليلية التي اعتمدتها ولذلك يمكن النظر في إمكانية تداخل البلاغة مع الأسلوبية والشعرية والنقد الأدبي حيث يتم فهم العلاقة الموجودة بين الشكل والمعنى في البلاغة وحتى في غيرها من العلوم لفهم طبيعة تكوين العلامة اللسانية في حد ذاتها وهذا من خلال المحورين الاستبدالي والتركيبي من وجهة نظر لسانية حتى تنتقل الدراسة من المعيارية إلى الوصفية ولتحديد قيمة العلامة اللسانية فأين تكمن علمية هذه العلوم، ونفهم معنى العلمية من قول ليفي شتراوس (روضت العلوم الإنسانية نفسها منذ قرون إلى النظر إلى العلوم الطبيعية على أنها نوع من الفردوس الذي لن يتاح لها دخوله أبدا، ولكن فجأة ظهر منفذ صغير انفتح بين العلمين والفاتح لهذا المنفذ هو علم اللغة الألسنية)عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص 03.

وبعد كل هذا هل يمكن أن نعرف الأسلوبية بأنها التحليل اللغوي الذي يكشف ويبين السمات الأسلوبية داخل النص الأدبي وهل يكن أن نحدد الأبنية الشكلية التي تهتم الأسلوبية **بتحليلها؟**

يقول الباحث محمد الهادي الجطلاوي:(لقد عرف المحدثون الأسلوبية بتوخي طريقتين:إحداهما التحديد المباشر للأسلوبية بالقول مثلا إنها علم يهدف إلى ضبط منهج لمباشرة النصوص قصد اكتشاف العناصر المكونة للأسلوب، والثانية:طريقة غير مباشرة تقوم على المقارنة بين الأسلوبية ومظاهر أخرى لغوية أو أدبية تشبهها وقد تلتبس بها، وتؤدي المقارنة إلى اختلاف الأسلوبية عن غيرها) الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، ص17.

وإذا كان قد قيل بأن هناك علاقات وطيدة بين البلاغة وغيرها من العلوم فإنها تتجلى في علاقتها بالنقد كذلك(وقديما كان النقد يدرّس في أثناء الإطار البلاغي ثم جاءت فترة كثرت فيها المؤلفات النقدية والمؤلفات البلاغية فأصبحت فترة من تاريخ الفكر النقدي البلاغي، وبعد قليل تميزت الكتب البلاغية عن الكتب النقدية، ثم بعد ذلك أصبحت البلاغة في إطار المفهوم النقدي) محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، ص82.

والواقع أن البلاغة في تطورها أخذت مفاهيما أخرى فتطورت إلى الأسلوبية كما ارتبطت بالنقد الذي يحكم على الأعمال الأدبية بالجودة والرداءة في إطار حكم القيمة كما أن معيارية البلاغة كذلك درست في إطار النقد الأدبي القديم جنبا إلى جنب لفهم الأبنية البلاغية للنصوص الأدبية ومعرفة كيفيات التعبير(إذ كل من النقد والبلاغة يدور حول الصدق والقوة والجمال في الأداء والتعبير الأدبي، فالبلاغة تأخذ بيد الأديب، وتهديه إلى الصواب، والنقد يقفه على ما أصاب من حسن وما تورط فيه من قبيح) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص51

أما فيما يتعلق ببنية الشكل البلاغي فيمكن الحديث عن هذا المصطلح في إطار الأسلوبية والدراسات النقدية المعاصرة، ذلك أن مصطلح الشكل يحيلنا إلى مفهوم البنية، فهل للأجناس البلاغية أشكال محددة من حيث التعبير عن الغرض البلاغي بقوانين تفرضها الشعرية و نظرية الأجناس الأدبية بصفة عامة؟ ومن هنا نلاحظ أن (كل شكل مجازي إنما هو شكل قائم بذاته، ويتميز المجاز عموما عن التعبيرات غير المجازية بأنه يتضمن تعديلا خاصا يجعله مجازا...فجوهر المجاز انه ذو شكل أما التعبير البسيط الشائع فليس له شكل، أي أن الشكل البلاغي يكمن في الفصل بين العلامة والمعنى بين الدال والمدلول حيث تقوم المساحة أو الفضاء الداخلي للغة)صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص ص 169.168

علاقة البلاغة بعلم النص:

تقوم الأبحاث النصية في مجال اللسانيات النصية ونظرية النص على معرفة دور العلوم المشكلة للنص الأدبي وكيفيات بنائه على المستوى الشكلي والمعنوي إلا أن أهم قضية مطروحة في التحليل النصي اليوم هي فهم العلاقة بين البلاغة (أو ما تعلق بها من علوم) وبين علم النص؟

وهل نستطيع أن نختزل علم البلاغة إلى علم النص؟ هذا ما يطرحه الباحث الهولندي فان دايك بقوله (إن البلاغة هي السابقة لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة، لكننا نؤثر مصطلح علم النص لأن كلمة بلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص6.

ومما سبق يتضح أن التحليل البلاغي هو جزء من بنية النص ولذلك يطلق فان دايك مصطلح علم النص على تحليل النصوص وتحديد أبنيتها وخصائصها ووظائفها، في حين أن كلمة بلاغة ترتبط بأشكال أسلوبية مثل الاستعارة والكناية، والتشبيه، والمجاز العقلي...إلخ

ومادام النص يتكون من أنظمة لغوية متداخلة فهل يمكن أن ندرج التحليل البلاغي أو الأسلوبي داخل نظام محدد؟ للإجابة عن هذا السؤال نحدد العلوم المتداخلة المشكلة للتحليل النصي وهي النحو والدلالة والتداولية (وقد شكلت الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنصوص صلب البحث النصي، بمعنى أن البحث يتحقق على مستويات ثلاثة وهي:المستوى النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي بالمفهوم الواسع للكلمة، ولا يجيز الفصل بين هذه المستويات) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص أ (من المقدمة)

فالمستوى النحوي يدرس العلاقات بين العناصر اللغوية فيما بينها، والمستوى الدلالي يدرس العلامات وعلاقتها بالواقع أو المرجع، والمستوى التداولي يدرس توصيل العلامات بين المتخاطبين، ولذلك يمكن إدراج التحليل البلاغي أو الأسلوبي ضمن هذه المستويات لأنها كلها تحيل إلى المعنى دون حصره في علم البلاغة فهناك المعنى النحوي، والتداولي، والصرفي ...إلخ

ولكن البلاغة مندرجة داخل هذه العلوم لأن الأصل في المعنى البلاغي طريقة تركيب الجملة نحويا من حيث الإسناد ثم الدلالة ثم توجيه قصد معين إلى القارئ، ثم تداوليا من خلال التعامل مع الخطابات بالفهم والتأويل في سياق معيّن(وتتمثل مهمة علم النص بناء على ذلك في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة) صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص 293

الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا نلاحظ أن مصطلح البلاغة قد خضع للتطور بفعل حضور الدرس اللساني والبحوث اللغوية واللسانية حيث أصبح مرتبطا بالأسلوبية، والتداولية، والسيميائية، ولسانيات النص، وتحليل الخطاب لكن مع اختلاف بين مدلول البلاغة المعياري، وما قدمته اللسانيات من نجاحات باهرة كان لها الأثر الواضح في دراسة اللغة والأدب

ونستنتج من البحث النقاط التالية:

1) البلاغة معيارية وهي مرتبطة بالمتلقي، حيث إن غرضها التأثير أو الإقناع فهي في الأصل نظام من القواعد.

2) تطورت البلاغة إلى الأسلوبية حيث طبق التحليل الأسلوبي آليات خاصة به في التعامل مع النصوص الأدبية لاستخلاص السمات الفنية والجمالية الكامنة فيها

3) تعتمد البلاغة والتداولية على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على أساس المقولة الشهيرة في البلاغة لكل مقام مقال، وفي التداولية مراعاة الموقف الخطابي أو سياق المقام.

4) تشترك البلاغة مع السيميائيات في فهم كيفية بناء النصوص حيث تشتركان في التعبير عن المعنى الإيحائي، ولكن لكل علم مصطلحاته الخاصة به، فالبلاغة تفرق بين اللغة العادية أو التصريحيةواللغة المجازية أو الإيحائية، والسيميائية تفرق بين المعنى السطحي والمعنى العميق.

5) تطور مفهوم البلاغة إلى علم النص لأن البلاغة أصبحت تعني في إطار البحوث اللسانية النصية مجموعة من الأشكال الأسلوبية.

6) ساهمت اللسانيات في النظر إلى المصطلحات البلاغية على أنها مصطلحات معيارية يمكن أن تدرس في المناهج النصية باستبدالها بمصطلحات أخرى تحقق هدف هذه المناهج وقدرتها على استيعاب خصوصية النصوص الأدبية

قائمة المراجع:

1) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1994
2) تمام حسان، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000
3) جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007
4) صابر الحباشة، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات، سوريا، ط 1، 2009
5) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2004
6) صلاح فضل علم الأسلوب والنظرية البنائية، دارالكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2007.
7) عبد الله الغذامي الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1 ,1985.
8) عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة، الجزائر، دط، 2010
9) عثمان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2003
10) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، دار الفرقان الأردن، ط2، 1989
11) محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، الأردن، دط، 1991
12) محمد مشبال، البلاغة والأدب،، دار العين القاهرة، ط1، 2010
13) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994
14) الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1992.
15) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، محاضرة في الملتقى الدولي الثامن للآداب، مجلة جامعة القاهرة، مصر، 22، 24، نوفمبر.
16) ماهر مهدي جلال، الرؤية البلاغية في قراءة النص، مجلة جامعة حضرموت، العدد6، المجلد 03، يونيو 2004.